

الفعل الأجوف ومشتقاته بين اللهجات العربية "دراسة وتحليل"

الأستاذ: د. عبد اللطيف مطيع عبد القادر

جامعة العلوم الإسلامية العالمية

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والتربوية

قسم اللغة العربية - عمان - الأردن

المقدمة :

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

وبعد: فمما لا شك فيه أنّ الاشتغال بدراسة اللغة العربية هو من خير العلوم وأوفرها حظا في القبول، كيف لا وهي تتعلق بكتاب الله الخاتم الذي أنزله ربنا ﷻ بهذا اللسان المبارك (كتاب فُصِّلَتْ آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون) (سورة فصلت 3)، فكان لزاماً تعلّم هذه اللغة ودراستها، فهي المفتاح الذي نفهم من خلاله مراد الله ﷻ فيما أراد في كتابه، وكما قال علماء الأصول: ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وكان مما منّ الله به علينا أن هدانا وحببنا لهذا العلم الجليل، وكان من حبيّ لعلم اللغة أن تخصصت بعلم النحو، إذ إنه من أسمى العلوم قدرا، وأنفعها أثرا، به يثقف اللسان، ويسلس عنان البيان، ولا تستقيم العلوم إلا به، ولا يتذوق الطالب فنا من الفنون ولا يسير فيه على هدى وبصيرة إلا إذا اخذ منه بطرف.

وكان موضوع البحث: (الفعل الأجوف بين اللهجات العربية).

فاستعنت بالله عز وجل وجمعت المادة العلمية وقسمتها على تمهيد، وثلاثة مباحث، وهذا بياها:

التمهيد: اللهجات وتعريفها وأقسامها، ومسائل أخرى.

المبحث الأول: الفعل الأجوف، قواعده وأحكامه.

المبحث الثاني: الفعل الماضي من الفعل الأجوف، وهو على مطلب.

المبحث الثالث: الفعل المبني للمجهول من الفعل الأجوف.

المبحث الرابع: اسم المفعول من الفعل الأجوف، وفيه مطلبان.

المبحث الخامس: المصدر من الفعل الأجوف.

الخاتمة.

هذا واسأل الله عز وجل أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم.

تمهيد:

لا يخفى على كلّ دارس ما للهجات العربية من أهمية كبيرة في الدراسات اللغوية , حيث أنها تمثل ثروة مهمة من تاريخ لغتنا العربيّة الزّاهرة, وأردنا في هذا التمهيد أن نقف على بعض المسائل المتعلقة بمفهوم اللهجات العربية , من ناحية تعريفها , وتقسيماتها, وأشهر اللهجات العربية , وذلك حتى تكون الدراسة واضحة المعالم, كونها ستسلط الضوء على جزء من اختلاف اللهجات في مسألة من مسائل اللغة الكبيرة.

وتتعرّض أيضا إلى علاقة اللهجات بالقرآن الكريم وقراءاته القرآنية , حيث حفظ القرآن الكريم صورا متعددة من اختلاف اللهجات , وهذا ما سنجد في بعض المسائل المتعلقة ببحثنا.

تعريف اللهجة:

نبدأ بذكر التعريف اللغوي للفظ (اللهجة) كما ذكره ابن منظور في لسانه حين قال: ((لَهْجٌ بِالْأَمْرِ لَهْجًا، وَلَهْجٌ، وَلَهْجٌ كِلَاهُمَا أُوْلَعٌ بِهِ وَاعْتَادَهُ ...، وَاللَّهْجَةُ وَاللَّهْجَةُ: طَرْفُ اللِّسَانِ، وَاللَّهْجَةُ وَاللَّهْجَةُ جَزْءُ الْكَلَامِ، وَالْفَتْحُ أَعْلَى. وَيُقَالُ فُلَانٌ فَصِيحُ اللَّهْجَةِ وَاللَّهْجَةِ، وَهِيَ لُغَتُهُ الَّتِي جُلِيَ عَلَيْهَا فَاعْتَادَهَا وَنَشَأَ عَلَيْهَا))⁽¹⁾.

وأما اصطلاحا فنختار تعريف إبراهيم أنيس، بأنها ((مجموعة من الصفات اللغوية، تنتمي إلى بيئة خاصّة , ويشارك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة , وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات , لكلّ منها خصائصها , ولكنها تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضها بعض, وفهم ما قد يدور بينهم من حديث فهما يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات))⁽²⁾.

واللهجة هي صورة وجزء من اللغة , لأنّ اللغة حين عُرِّفَتْ كأنّها تتّسم بالعموميّة , ولا تخصّ لسانا دون لسان , أو قبيلة دون قبيلة , فمثلا عرّفها ابن جني بأنها: ((أصوات يعرّب بها كل قوم عن أغراضهم))⁽³⁾, وهذا ما نجده عند ابن حزم حين عرّفها فقال: ((واللغة ألفاظ يُعَبَّرُ بها عن المسّمّيات وعن المعاني المراد إفهامها , ولكل قوم لغتهم))⁽⁴⁾, وعُرِّفَتْ اللغة كذلك: بأنها ((مجموعة مجموعة من اللهجات تنتمي إلى بيئة معينة))⁽⁵⁾.

وأما العلاقة بينهما فهي من باب العام والخاص ؛ لأن اللغة تشتمل على عدّة لهجات , ولكلّ منها ما يميّزها , وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللّغويّة والعادات الكلامية التي تؤلف لغة مستقلّة عن غيرها من اللغات⁽⁶⁾.

الدراسات اللهجية في كتب القدماء:

وفي هذا الموضوع يذكر عبده الراجحي أنّ مصطلح اللهجة لم يستعمله القدماء على النحو الذي يوجد في الدراسات الحديثة , وإنما سمّوها لغة أو لغية⁽⁷⁾, بدلالة أنّ المؤلفات كانت تحمل اسم اللغة في دراستهم لما يسمى اليوم لهجات , وقد يكون من

¹ (لسان العرب لابن منظور , مادة: (لهج) 340/12 .

² (في اللهجات العربية , إبراهيم أنيس 15 .

³ (الخصائص لابن جني 87/1 .

⁴ (الأحكام في أصول الأحكام لابن حزم 39/1 .

⁵ (المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية , محمد سالم محيسن 7 .

⁶ (ينظر: المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية 7-8 .

⁷ (ينظر: فقه اللغة في كتب العربية لعبده الراجحي 110-111 .

باب التغليب, أو أنهم لم يدرسوا لهجات أو لغات مقارنة حتى يفرّقوا بينهما , وإنما كان كلّ اهتمامهم هو دراسة اللغة العربية فقط , أو لعلّه من باب المجاز اللغوي من إرادة الجزء بإطلاق الكل.

أسباب ظهور اللهجات:

قد يكون وراء انشطار اللّغات إلى لهجات عوامل كثيرة , اجتهد العلماء في تفسيراتها وذكر أسبابها ⁽¹⁾, ولسنا بصدد هذا وإنما نشير إلى سنة لغوية تسري على جميع اللغات , وذلك أنّه حين ينقسم المتكلمون بلغة ما إلى قبائل وطوائف , وحين تنتشر اللغة في مساحة واسعة يظهر لنا هذا التنوع في اللّغة الواحدة , وذلك تبعاً لظروف كلّ قبيلة مع بيئتها ومناخها , فمن الصعب في مثل هذا أن تحتفظ اللغة بوحدها الأولى أمداً طويلاً , وعلى هذا الأساس نرى أن كلّ قبيلة قد اختصت بمظاهر صوتية معينة مثل الصوت والدلالة والقواعد والمفردات ⁽²⁾, ويذكر إبراهيم أنيس عاملين أساسيين يُعزى إليهما تكوّن اللهجات في العالم , وهما: "أ- الانعزال بين بيئات الشعب الواحد , ب- الصراع اللغوي نتيجة غزو أو هجرات" ⁽³⁾.

وهذا ما سنجدّه من اختلاف بعض القبائل في تعاملهم مع الفعل الأجوف , كنموذج يوضح لنا كيفية اختلاف القبائل العربية بعضها عن بعض .

أقسام اللهجات:

وللهجات أقسام عدّة ذكرها الباحثون في دراساتهم , وأكثرها في توضيحها وبيانها , وهنا نكتفي بإشارة إلى ذلك بما قاله "نشين رابين": ((إنّ تقسيم اللهجات حجازية أو تميمية - الذي نجده في الأبحاث العربية - يتطابق مع انقسام اللهجات الفعلية إلى مجموعتين , إحداهما عربية شرقية , والأخرى عربية غربية , ولم تكن هاتان المجموعتان وحيدتين , ولكننا لا نعرف سوى النزر اليسير عن غيرهما لأخذه بعين الاعتبار , وتمتاز مجموعة اللهجات الشرقية التي تضمّ لهجات تميم وربيعة وأسد وعقيل وغيّ وبعض قبائل قيس الأخرى , بعدد كبير من الملامح المميّزة , وعند إلقاء نظرة فاحصة على هذه اللهجات يتبين أنها تمثل تطورات لغوية حديثة في الغالب مقارنة بغيرها , وأنّ اللهجات الشرقية هي نفسها التي استخدمها شعراء العربية الأقدمون)) ⁽⁴⁾.

وهذا ما سنلاحظه في اختلافات الفعل الأجوف, فغالبا ما يكون الخلاف بين هاتين اللهجتين , إمّا اللهجة الحجازية , أو لهجة تميم .

علاقة القرآن الكريم باللهجات:

ولما كان من صميم بحثنا ونحن نبحث في الفعل الأجوف بين اللهجات العربية , أن نعتني بما نقله القراء الكرام من تنوع الأداء في بعض الأفعال الجوفية على اختلاف تصريفاتها , وهذا يجزئنا إلى الحديث عن علاقة القرآن باللهجات العربية, وهل كان القرآن الكريم بقرائنه حاوٍ للهجات العربية ؟ وبأيّ لسان من لهجات العرب نزل ؟ هذا ما سنقف عنده بيسر واختصار, علّهُ ينفعنا في تحليل بعض ما سندرسه في موضوع بحثنا .

¹ (راجع: اللهجات العربية في القراءات القرآنية 37 وما بعدها .

² (ينظر: فقه اللغة , علي عبد الواحد وافي 86-87 (يتصرف) .

³ (في اللهجات العربية لإبراهيم أنيس 20 .

⁴ (اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية (تشيم رابين) 35-36 .

فأول الأمر علينا معرفة أنّ القرآن نزل بلغة العرب ، وراعى في ذلك الاختلاف اللهجي لتلك القبائل التي نزل القرآن الكريم بين ظهرائهم ، وتيسرت قراءته لكلّ العرب على اختلاف ألسنتهم ، والأصل في هذه المسألة هو ما روي عن النبي ﷺ أنّه قال: ((أقرأني جبريل عليه السلام على حرفٍ، فراجعته، فلم أزل أستريده فيزيدني ، حتّى انتهى إلى سبعة أحرف))⁽¹⁾.

ويوضح المعنى من أنّ المقصود من الأحرف هو تنوع اللهجات للتيسير والتسهيل ، هو ما روي عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ يقول: ((سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ ، فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول ﷺ ، فكدت أساوره في الصلاة ، فتصبرت حتى سلّم ، فلبيته بردائه ، فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ ؟ قال أقرأنيها رسول الله ﷺ ، فقلت: كذبت فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت ، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت: إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرأنيها ، فقال رسول الله ﷺ: (أرسله ، اقرأ يا هشام) . فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ فقال رسول الله ﷺ: (كذلك أنزلت) ، ثم قال: (اقرأ يا عمر) ، فقرأت القراءة التي أقرأني فقال رسول الله ﷺ: (كذلك أنزلت ، إنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقروا ما تيسر منه))⁽²⁾.

فهذا الخبر الصحيح يدلنا على اختلاف المنطوق تبعا لاختلاف لهجات القارئ ، فهنا سيّدنا عمر ومعه هشام بن حكيم (رضي الله عنهما) اختلفا في نطق بعض آيات القرآن الكريم ، وما هذا إلّا دلالة على أنّ القرآن نزل بلهجات العرب ، وعلى نواميسها في الكلام .

وهنا أشار العلماء إلى أسماء اللهجات التي جاء التنزيل بها ، فنقل السيوطي عن أبي حاتم السجستاني قوله: ((نزل بلغة قريش وهذيل وقيم والأزد وربيعة وهوازن وسعد بن بكر))⁽³⁾.

وفسر أبو عبيد معنى النزول بهذه اللغات فقال: ((ليس المراد أنّ كل كلمة تقرأ على سبع لغات ، بل اللغات السبع مفرقة فيه ، فبعضه بلغة قريش ، وبعضه بلغة هذيل ، وبعضه بلغة هوازن ، وبعضه بلغة اليمن وغيرهم ، قال: وبعض اللغات أسعد به من بعض وأكثر نصيبا))⁽⁴⁾.

ولكن الأصل الذي سار عليه القرآن هو لسان قريش ولهجتها ، فروي عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال للرهط القرشيين الثلاثة: ((إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فإنه إنما نزل بلسانهم ، ففعلوا))⁽⁵⁾.

وعلل النيسابوري ذلك بقوله: ((وذلك أنّ قريشاً تجاور البيت ، وكانت أحياء العرب تأتي إليهم للحجّ ويستمعون لغاتهم ويختارون من كل لغة أحسنها ، فصفا كلامهم ، واجتمع لهم مع ذلك العلم بلغة غيرهم))⁽⁶⁾ ، وقد يكون السبب وراء تميّز لغة قريش ، ونزول القرآن بها هو ما نقله السيوطي عن الفارابي أنه قال: ((كانت قريش أجود العرب انتقاءً للأفصح من الألفاظ ، وأسهلها على اللسان عند النطق ، وأحسنها مسموعاً ، وأبينها إبانة عما في النفس))⁽⁷⁾ ، وكذلك نأت بنفسها عن ثقل القول وفاسده ، وهنا

¹ صحيح مسلم (باب بيان أن القرآن نزل على سبعة أحرف) 354 .

² صحيح البخاري 339/3 .

³ (الاتقان للسيوطي 47/1 .

⁴ (الاتقان للسيوطي 47/1 .

⁵ (الاتقان للسيوطي 59/1 .

⁶ (غرائب القرآن و رغائب الفرقان للنيسابوري 58/1 .

⁷ (الاقتراح للسيوطي 59 .

وهنا يقول السيوطي معلّلا فضل قريش على ما سواها من اللغات واللهجات: ((ألا ترى أنك لا تجد في كلامهم عنّنة تميم ، ولا عَجْرَفِيَّة قَيْس ، ولا كشْكَشَة أسد ، ولا كَسْكَسَة ربيعة ، ولا كَسْر أسد وقيس))⁽¹⁾ .

وهذا لا يعني بأنه لا توجد هناك ظواهر للهجات أخرى ، قد اختارها القرآن لتشكّل ذلك النظام البديع ، وحُفِظَ بعض تلك اللهجات ، ومن ذلك ما ذكره بعض العلماء من توجيهات وتعليلات حول ورود بعض اللهجات العربية في المصحف الشريف ، ومن ذلك ما قاله ابن عبد البر في التمهيد: ((قول من قال أن القرآن نزل بلغة قريش معناه عندي في الأغلب والله أعلم ؛ لأن غير لغة قريش موجودة في صحيح القراءات من تحقيق الهمزات ونحوها وقريش لا تهمز))⁽²⁾ .

الرسم القرآني واللهجات العربية:

لرسم القرآني أهمية كبيرة في الدراسات اللهجية ، إذ أنّ الرسم القرآني هو صورة واضحة عن اللغة والكتابة في صدر الإسلام ، والنقل المتواتر للقراءات ينقل لنا الصوت الذي كان بين لهجات العرب ، وما فيها من تنوّع واختلاف بين الصورة النطقية لبعض الكلمات والألفاظ والأصوات ، وسيقف البحث عند الفعل المبني للمجهول من الفعل الأجوف ، وما هو اختلاف القراء في قراءته ، وما هذا إلا نموذج لاختلاف اللهجات ، لأنّ القرآن كما هو معلوم نزل بلهجات العرب ، وسنجد أنّ الرسم قد احتفظ لنا ببعض الصور النطقية المتولّدة من اختلاف اللهجات ، وخاصة في موضوع بحثنا عن الفعل الأجوف ، ومن ذلك مسألة اختلاف النطق بالألف في بعض الأفعال الجوفية ، وما فيها من اختلافات لهجية مثل الإمالة .

وقد رفض بعض الدارسين المستشرقين أن يكون رسم المصحف صورة حقيقية عن الواقع الأول، وذلك مثل (فولرز) حيث زعم أن النص القرآني هو تلفيق قام به النحاة ، ونُحِث عن ضبطه الأصلي في القراءات المختلفة الشاذة ، وزعم كذلك بأن هذا النص الذي أعيد بناؤه هو الممثل للغة الشعبية مقابل اللغة العربية الفصحى، وذلك بسبب غياب الحالات الإعرابية وتوجيهاتها⁽³⁾ .

لكننا نجد في الوقت نفسه مستشرقاً آخر ردّ عليه ، وهو (تشيم رابين) حيث قال: ((ولكنني من جانبي أقبل بالنص العثماني تعبيرا صادقا عن اللغة التي استخدمها محمد ﷺ ، ولكنني أومن كذلك بأن تعابير الأدبية تنطوي على عناصر من اللغة المحكية في عصره ، وأن هذا النص العثماني هو عيّنة للغة ، التي لولاه لأصبحت لغة مفقودة))⁽⁴⁾ .

¹ (المزهر للسيوطي 210/1 .

² (التمهيد لابن عبد البر 280/8 .

³ (ينظر: اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة 39 .

⁴ (اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة 39 .

المبحث الأول:

الفعل الأجوف, قواعده وأحكامه

الأفعال في العربية في بعض أقسامها إما أن تكون صحيحة أو تكون معتلة, والفعل الأجوف هو من الأفعال المعتلة, ونبدأ بتعريف كلا النوعين:

الصحيح: هو ما خلت أصوله من أحرف العلة, وهي الألف, والواو والياء, نحو: كتب, وجلس.

المعتل: هو ما كان أحد أصوله حرف علة, نحو: وجد, وقال, وسعى⁽¹⁾.

ولكل منهما أقسام, وبما أن بحثنا متعلق بالنوع المعتل أعرضنا عن الأول, وسنعرّج عن الثاني بما يصلنا بمادة بحثنا. فالفعل المعتل يقسم على أنواع⁽²⁾:

- **المثال:** وهو ما اعتلت فاؤه, نحو: وعد, ويسر, وسمي بذلك لأنه يماثل الصحيح في عدم إعلال ماضيه.
- **الأجوف:** وهو ما اعتلت عينه, نحو: قال, وباع, وسمي بذلك لخلو جوفه أي وسطه من الحرف الصحيح, ويسمى أيضا ذا الثلاثة؛ لأنه عند إسناده لئاء الفاعل يصير معها على ثلاثة أحرف, ك: قُلْتُ, وبعثْتُ, في: قال, وباع, وهذا ما سنتناوله في موضوع بحثنا.
- **الناقص:** وهو ما اعتلت لامه, نحو: غزى, ورمى, وسمي بذلك لتقصانه, وبخذف آخره في بعض التصاريف, ك: غزت, ورمت, ويسمى أيضا ذا الأربعة؛ لأنه عند إسناده يصير معها على أربعة أحرف, نحو: غزوت, ورميت.
- **اللفيف:** وهو قسمان: مفروق: وهو ما اعتلت فاؤه ولامه, نحو: وقي, ووقى, وسمي بذلك لكون الحرف الصحيح فارقا بين حرفي العلة. والثاني: لفيف مقرون: وهو ما اعتلت عينه ولامه, نحو: طوى, وروى, وسمي بذلك لاقتران حرفي العلة بعضهما ببعض.

بعض أحكام الفعل الأجوف:

وللفعل الأجوف مسائل متعددة وكثيرة ذكرتها كتب الصرف في أثناء بحوثها ومسائلها, وهنا نقف على بعض منها ليتوضح عندنا الفعل الأجوف في بعض مسائله, ومن ذلك:

- **التصحيح والإعلال:** وهذه المسألة ستكرر كثيرا في البحث, ولعلاقتها بالفعل الأجوف واختلاف اللهجات العربية في الأخذ بأحدهما كان لا بدّ من تعريفهما, والتصحيح والإعلال من المعاني المتضادة, ((ومعنى التصحيح: إبقاء حرف العلة على ما هو عليه دون تغييره أو تبديله, والإعلال: تغيير حرف العلة بقلبه أو حذفه أو إسكانه))⁽³⁾.
- إذا كان الفعل الأجوف مبنيا للفاعل, فهو إن كان من ذوات الواو يكون على "فَعَلْ" و "فَعِلْ" و "فَعُلْ", بضم العين وفتحها وكسرها, ف(فَعِلْ): قام, و(فَعُلْ): طال, و(فَعِلْ): خاف. وأما ما كان من ذوات الياء فيجئ على "فَعَلْ", و "فَعِلْ", بفتح العين وكسرها, ولا يجوز في ذلك الضم استثقالا له في الياء, ف (فَعِلْ): باع, و(فَعِلْ): كاد⁽⁴⁾.

¹ ينظر: شذا العرف في فن الصرف 27.

² ينظر: شذا العرف 28 وما بعدها.

³ اللهجات العربية في التراث لأحمد علم الدين الجندي 527/2.

⁴ ينظر: الممتع في التصريف 287.

وَأَعْلَتْ هذه الأفعال إمّا استئقلا للضمّة في الواو , والكسرة في الواو والياء , وذلك في (فَعَلٌ , فَعِلٌ) , فقلبت الواو والياء إلى أحفّ حروف العلة وهو الألف , ولتكون العينات من جنس حركة الفاء وتابعة لها . وأما (فَعَلٌ) فقلبت الواو والياء فيها ألفا لاستئقال حرف العلة , مع استئقال اجتماع المثلين أي : فتحة الفاء وفتحة العين , فقالوا في قَوْمٍ وَيَبَعٌ : قام وباع , فقلبوا الواو والياء ألفا لحفة الألف ولتكون العين حرفا من جنس حركة الفاء ⁽¹⁾ .

- " الفعل الأجوف إن كان بالألف في الماضي , وبالواو في المضارع فهو من باب نصر , كقال يقول , ما عدا طال يطول , فإنه من باب : شَرَف . وإن كان بالألف في الماضي وبالياء في المضارع , فهو من باب ضرب , ك: باع يبيع , وإن كان بالألف أو بالياء أو بالواو فيهما فهو من باب فَرَح , ك: خاف يخاف , وَعَيَدَ يَعِيدُ , وَعَوَّرَ يَعَوِّرُ " ⁽²⁾ .

- ومن مسائل الإعلال في الفعل المضارع , هو أنّ الأصل في يَقُومُ , وَيَبِيعُ , يَكاد , يخاف : يَقُومُ , وَيَبِيعُ , وَيَكِيدُ , وَيَخُوفُ , فهنا لما لم يمكنهم أن يُعْلُوا بقلب حرف العلة ألفا مع إبقاء سكون ما قبل حرف العلة , فأعْلُوا بالنقل , أي بنقل حركة العين إلى الفاء , فلما نقلوا في (يَقُومُ) صارت : يَقُومُ , ولما نقلوا في (يَكِيدُ , وَيَخُوفُ) صارا : يَكِيدُ , وَيَخُوفُ , ثم قلبوا الواو والياء ألفا لتحركهما في الأصل قبل النقل , وانفتاح ما قبلهما في اللفظ , ولم يعتدوا بالسكون ؛ لأنه عارض بسبب النقل , والعارض الغالب فيه ألا يعتدّ به ⁽³⁾ .

- ويجري هذا الحكم على فعل الأمر أيضا , ف ((قُمْ , وبع , أصلهما اقُومُ وائبع , ثم نقلت حركة العين إلى ما قبلها , فتحركت فذهبت همزة الوصل ؛ لأنها إنما أتت بها لأجل الساكن , فزالت بزواله , ثم سكنوا الآخر وحذفوا حرف العلة لالتقاء الساكنين)) ⁽⁴⁾ .

¹ ينظر : الممتع في التصريف 287 (بتصرف) .

² شذا العرف 36 .

³ ينظر : الممتع في التصريف 293-294 (بتصرف) .

⁴ (الممتع في التصريف 294 .

المبحث الثاني:

الفعل الماضي من الفعل الأجوف

المطلب الأول: عين الأجوف بين التصحيح والإعلال:

وللفعل الماضي الأجوف حالتان للتعامل مع عينه ، إحداهما بتصحيح حرف العلة ، وذلك بنطقه واوا أو ياءً محركة ، والأخرى بإعلاله وقلب الواو أو الياء ألفا ، وقد مرّ معنا تعريف الإعلال والإبدال في المبحث الأول ، وهذان الحالتان تابعان لاختلاف اللهجات في التعامل معه ، ومن ذلك⁽¹⁾:

- (حال ، وحول):

جاء في كتاب العين: ((الحَوْلُ: إقبالُ الحَذَقَةِ على الأنفِ حَوَلَتْ تَحْوَلُ ...، ولغَةُ تَمِيمٍ حَالَتْ عَيْنُهُ نَحَالَ حَوْلًا))⁽²⁾.

- (هاف ، وهيف):

((والهَيْفُ دِقَّةُ الحَصْرِ ، وصاحبُهُ أهيفُ وهيفاءُ ، والفِعْلُ: هَيْفَ يَهْيِفُ ، ولغَةُ تَمِيمٍ: هاف يَهافُ هَيْفًا))⁽³⁾.

- (صاد ، وصيد):

الفعل (صَيِدَ ، يَصِيدُ) وهو الذي يرفع رأسه كِبَرًا ، وهذه لغة أهل الحجاز ، يثبتون فيها الياء والواو من دون إعلال ، ومثل "صَيِدَ": عَوِرَ ، وغيرهم يقول "صَادَ يَصَادُ" ، "وعار يعار" بالإعلال⁽⁴⁾.

فهنأ نجد بعضها منسوبة لأهل الحجاز ، وبعضها لتميم ، على اختلاف بينهما ، منهم من يصحح ، ومنهم من أعلّ الفعل ، ويرجح ضاحي عبد الباقي على وجه اليقين أن تُنسب إلى تميم الصيغ: حال ، وهاف ، وصاد ، وعار . وتُنسب الصيغ الأخرى إلى الحجاز وهي: حول ، وهيف ، وصيد ، وعور ، ويرجح أيضا كل الصيغ المشابهة من كل فعل وردت له صورتان إحداهما صحيحة والأخرى معتلة . وذكر أن المتوقع هو أن تكون الصيغة التميمية هي التي تصحح الواو والياء ؛ وذلك لكونها الصيغة القديمة ، والقدم يتفق وطبيعة تميم البدوية المنعزلة⁽⁵⁾.

المطلب الثاني: الإبدال والتسهيل والفعل الأجوف:

ونجد في بعض الكلمات أنها تُحوّل إلى صيغة الأجوف ، مع أن أصل الكلمة بالهمزة ، فقد تُقلب الهمزة حرفَ علة فتصير من قبيل الأصل الأجوف ، إذن فالمسألة عائدة إلى الهمزة تحقيقا وتسهيلا ، وللعرب في نطقها نهجان: تحقيق الهمزة وتخفيفها ، وقد

¹ (من الأمانة العلمية نقول: استفاد الباحث من استقصاء ذلك من كتاب (لغة تميم) لضاحي عبد الباقي ، ولكنه رجع إلى المصادر الأصلية في توثيقها ، والتعامل مع النصوص .

² (العين للفراهيدي (باب الحاء واللام) 299/3 .

³ (العين للفراهيدي (باب الهاء والفاء) 96/4 .

⁴ (ينظر: لسان العرب مادة (صيد) 451/7 .

⁵ (ينظر: لغة تميم لضاحي عبد الباقي 442 .

نُسب الأول إلى بني تميم ، في مقابل التخفيف الذي كان من سمة اللغة الحجازية ، ونقل ضاحي عبد الباقي عن اللسان أن أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة لا ينبرون ، وليس لتمييم إلا النبر ، وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا ⁽¹⁾ ، ومعنى النبر بالكلام هو همزه ⁽²⁾ . وقال ابن يعيش : أنه لما كان في إخراج الهمز من الثقل كالتثؤن ((ساغ فيها التخفيف ، وهو لغة قريش وأكثر أهل الحجاز ، وهو نوع استحسان ؛ لثقل الهمزة ، والتحقيق لغة تميم وقيس ، قالوا : لأن الهمزة حرف فوجب الإتيان به كغيره من الحروف)) ⁽³⁾ . وقد تكون هذه الهمزة في كلمة وقد تكون في كلمتين ، وسنقف عند الهمزة التي تكون في كلمة واحدة ، لأنها هي المعنوية بإظهار صورة الفعل الأجوف ، ولهذا التسهيل للهمزة صور عدة ، إما بالإبدال ، أو الحذف ، أو أن تجعل بين بين ⁽⁴⁾ ، وما يهمنا من ذلك هو إبدالها ، حتى يتولد عندنا فعلا أجوفا ، وقد يكون للحذف علاقة بموضوعنا ، أما جعلها بين بين فهي مسألة أخرى تسمى التسهيل ، يتوقف عندها حدود بحثنا .

ونعني بالإبدال هو : ((أن تزيل نبرتها فتلين ، فحينئذ تصير إلى الألف والواو والياء ، على حسب حركتها وحركة ما قبلها)) ⁽⁵⁾ .

وقال سيبويه : ((اعلم أن الهمزة تكون فيها ثلاثة أشياء : التحقيق والتخفيف والبذل ، فالتحقيق قولك : قرأت ورأس وسأل ولؤوم وبس وأشباه ذلك ... ، وإذا كانت الهمزة ساكنة وقبلها فتحة فأردت أن تخفف أبدلت مكانها ألفاً ، وذلك قولك في رأس وبأس وقرأت : رأس وبأس وقرأت ، وإن كان ما قبلها مضموماً فأردت أن تخفف أبدلت مكانها واواً ، وذلك قولك في الجؤنة والبؤس والمؤمن : الجؤنة والبؤس والمؤمن ، وإن كان ما قبلها مكسوراً أبدلت مكانها ياءً ، كما أبدلت مكانها واواً إذا كان ما قبلها مضموماً ، وألفاً إذا كان ما قبلها مفتوحاً ، وذلك الذئب والمثرة : ذئب وميرة ، فإنما تبدل مكان كل همزة ساكنة الحرف الذي منه الحركة التي قبلها لأنه ليس شيء أقرب منه ولا أولى به منها)) ⁽⁶⁾ .

فهنا الهمزة التي ذكرها سيبويه منها ما هي ساكنة ومنها المحركة ، ولكن نجد عند ابن فارس بأن الإبدال خاص بما كانت ساكنة ، فقال : ((وبني تميم يهزمون أحرفاً مما كان على وزن "فعل" في موضع العين من الفعل ألف ساكنة نحو : الفأس والكأس والرأس والبأس والرأل)) ⁽⁷⁾ .

وما وجدناه عند سيبويه هو الأصح ، وهذا ما سنجد في بعض الأفعال محركة العين وقد جرى فيها الإبدال ، أما إذا كانت ساكنة فهذا أولى .

وهناك كلمات كثيرة وأفعال متنوعة جرى عليها الإبدال ، وسنذكر ما هو متعلق بالفعل الأجوف فقط . وهذا الإبدال جرى في الهمز الساكن ، والهمز المتحرك ، وهناك ألفاظ ذكرها أصحاب المعاجم سارت على هذا النوع من النطق اللهجي ، وهناك أيضاً ألفاظ احتفظت بها بعض الروايات القرآنية ، ومن ذلك :

¹ ينظر : لغة تميم لضاحي عبد الباقي 300 ، وقد راجعت لسان العرب ، وبحثت في مادة (النبر) فلم أجدها ، ونسبها المؤلف إلى باب الهمزة في اللسان ولم أوفق كذلك لمعرفة ، وهذا من قصور همي في معرفتها .

² ينظر : لسان العرب مادة (نبر) 18/14 .

³ شرح المفصل لابن يعيش 107/9 .

⁴ ينظر : شرح المفصل لابن يعيش 107/9 .

⁵ شرح المفصل لابن يعيش 107/9 .

⁶ الكتاب لسيبويه 541/3 وما بعدها .

⁷ (جهرة اللغة لابن دريد) باب اللفيف في الهمز (537/2) .

- (سأل):

وذلك كما في قوله تعالى: **جَسَّالٌ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ** ١, ففي بعض القراءات وبفعل مسألة التسهيل أو الإبدال ظهر لنا هذا الفعل تحت ظاهرة الفعل الأجوف , فجاء في الكشف بأن هذا الفعل قد ((قرئ: (سأل سائل) , وهو على وجهين: إما أن يكون من السؤال وهي لغة قريش, يقولون: سلت تسال, وهما يتسايلان ؛ وأن يكون من السيلان . ويؤيده قراءة ابن عباس (سأل سيل) , والسيل: مصدر في معنى السائل, كالغور بمعنى الغائر))⁽¹⁾.

وجاء في بعض الدراسات الحديثة للهجات العربية بأن ذلك خاص في لهجة الحجاز عامة , وتستعمل في الشعر عند جميع القبائل , ومما جاء في ذلك: أن اللهجة الحجازية قد صاغت: "سلت" بدلا من "سألت" , من فعل الغيبة: سأل في سأل , والمضارع يسيل المأخوذ مباشرة من يسأل , وذلك لأن الأمر منها "سل" , وليس "اسل" من "اسأل" , وهذه الصيغة تأتي في الشعر من جميع القبائل⁽²⁾.

- (ذوى):

ذكر الأصمعي بأن أهل نجد - وتميم منهم - يقولون: ذوى البقل يذوي ذويًا , وفي لغة أهل الحجاز: ذى البقل يذأى ذأوا⁽³⁾ .

ويرى بعض الدارسين أنّ الصيغة النجدية هي الأصل , والحجازية هي المتطورة عنها , وأنهم نطقوها مهموزة مبالغة في التفصح والحدلقة في بادئ الأمر, معللاً ذلك بأن الواو سقطت وبقيت حركتها , ولما كانت الحركة لا تقوم بمفردها حدث قفل مقطعي , وهو ما عُبر عنه بالهمزة⁽⁴⁾ , واستدلّ لذلك بدلالات المعاني للفظين , وبما سارت عليه العرب في منهج التسهيل . وهذا الأمر لا يُخرج المسألة من كونها أعطت المعجم أفعالا من الأجوف , إن كان الفعل أصلا أو ظهر بسبب تسهيل الهمز.

المطلب الثالث: القلب المكاني والفعل الأجوف:

ومن اختلاف اللهجات في الفعل الأجوف هو ما أظهره لنا القلب المكاني , حيث أنّ بعض اللهجات اختلفت في بعض الأفعال , إما على صورته الأصلية أو على صورة يصير بها أجوفا بسبب القلب المكاني , ويُعرّف القلب المكاني بأنه: ((تقدّم بعض حُرُوفِ الكلمة على بعض , وأكثر ما يتفق في المهْمُوز والمَعْتَلّ , نحو: "أَيْسَ" و "حادي" , وقد جاء في غيرهما قليلاً , نحو: "امضَحَلَّ" في اضمَحَلَّ, و "اكرهَفَ" في اكْفَهَرَّ))⁽⁵⁾ .

وله مسائل متعدّدة , مثل صورته , وكيفية معرفته , وغير ذلك من المسائل التي اعتنى بإظهارها الدرس الصرفي , والتي أثر الباحث تركها مخافة الدخول في مسائل قد تُخرج البحث عن خطته .

¹ (الكشف 4/ 596 .

² (ينظر: اللهجات العربية القديمة 274 .

³ (الأمالي للوالي 1/ 666 .

⁴ (لغة تميم لضاحي عبد الباقي 306 , وما بعدها .

⁵ (معجم القواعد العربية لعبد الغني الدقر (باب القاف) 372 .

ويقول ابن فارس: ((ومن سنن العرب القلب ، وذلك يكون في الكلمة، ويكون في القصة ، فأما الكلمة فقولهم: "جَذَبَ" و"جَبَذَ" ، و"بَكَلَ" و"لَبَكَ" ، وهو كثير وقد صنّفه علماء اللغة . وليس من هذا فيما أظن من كتاب الله جلّ ثناؤه شيء))⁽¹⁾.

وهذا القلب قد ينشأ من صعوبة التابع الصوتي لمجموعة من المقاطع ، وله أسباب أخرى منها: عدم سماع الكلمة بوضوح ، ولذلك هو يكثر في البيئات الصحراوية ، ومن أسبابه أيضا أخطاء الأطفال فينشأ الجليل بعد على خطأ الأب ، وهكذا⁽²⁾، وقد ذكر العلماء لهذا النوع أسبابا وتفسيرات كثيرة لا تهمّ بحثنا فتركناه اختصارا .

وللفعل الأجوف نصيب من هذا التركيب اللهجي ، ومن ذلك:

- (عاث) : العَيْثُ مصدرُ عاثَ يَعِثُ عَيْثًا وَعَيْثًا وَعَيْثَانًا أَي: أَفسَدَ ، وقال اللحياني "عَثَى" لغة أهل الحجاز وهي الوجه ، وعاثَ لغة بني تميم ، قال وهم يقولون ولا تَعِثُوا في الأرض⁽³⁾.

وقد وردت الصيغة الحجازية في القرآن الكريم في قوله تعالى: (ولا تعثوا في الارض مفسدين)، البقرة: ٦٠ ، ومما جاء على وفق اللغة التميمية ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قرأ (وَلَا تَعِثُوا)⁽⁴⁾.

ويرى بعض الباحثين "أنّ وجود الصيغتين هنا لم يحدث عن طريق القلب المكاني ، وإنما مرّده إلى أنّهما تكونا بالتغاير ، فالصيغتان ترجعان إلى (عث) ، ومعناها الكلي (الإفساد) ، ثم تحوّل أحد صوتي التضعيف الثاء إلى صوت لّين طويل هو الألف ، نطقه التميميون قبل الثاء ، وكان عند الحجازيين بعد الثاء ، واحتفظت الصيغتان الجديدتان بالدلالة القديمة ؛ بدلالة قراءة الآية الكريمة بهما"⁽⁵⁾.

- (ناء ، وراء):

ومما جاء في ذلك الفعل (نئا) ، فمثلا في قوله تعالى: **وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَ بِجَانِبِهِ** ٢٣ الإسراء: ٨٣ ، **فُرِئ** ((" وناء بجانبه " بتقدّم اللام على العين، كقوله (راء) في (رأى) ، ويجوز أن يكون من (ناء) بمعنى " نهض "))⁽⁶⁾ ، ومن قرأ بها ابن عامر الشامي⁽⁷⁾، الذي وصفه بعض الدارسين بأنه غالبا ما يتمثل لغة الحجازيين⁽⁸⁾، إذا فالفعل "ناء" هنا جاءت على قانون القلب في اللغة .

ومما يستشهد به لهذه اللغة بما قاله قيس بن الخطيم:

فَلَيْتَ سُؤْيِدًا رَأَى مِنْ قَرٍّ مِنْهُمْ
وَمَنْ خَرَّ إِذْ يَحْدُوهُمْ كَالْجَلَائِبِ⁹
ونقل صاحب اللسان عن صاحب المحكم بأن راء لغة في رأى⁽¹⁰⁾ .

¹ (الصاحبي في فقه اللغة 329 .

² (ينظر: لغة تميم لضاحي عبد الباقي 333 ،

³ (لسان العرب (عيث) 491/9 .

⁴ (ينظر: مختصر في شواذ القراءات 13 .

⁵ (لغة تميم لضاحي عبد الباقي 339 .

⁶ (الكشف 662/2-663 .

⁷ (ينظر: النشر لابن الجزري 308/2 .

⁸ (اللهجات العربية القديمة 276

⁹ (ينظر: لسان العرب (جلب) 314/2 .

¹⁰ (ينظر: لسان العرب (رأي) 93/5 ، ولم أعثر على هذا القول في المحكم والمخيط الأعظم .

المطلب الرابع: اختلاف صورة الفعل الأجوف عند إسناده لاختلاف تصريفه:

فالأولى أي بكسر الميم هي من (مات - يمات) نحو: خاف يخاف ، من باب (فَهَم - يفهم) ، والأصل (مَوَت) بفتح الفاء وكسر العين ، فإذا أُسند إلى التاء قيل: (مِت) بكسر الفاء ، وذلك لأننا نقلنا حركة العين إلى الفاء بعد كسر حركة الفاء ، ثم حذفنا الواو للساكنين ، فأصبحت (مِت). وأما الثانية أي (مُت) بضم الميم ، هي من (مات ، يموت) ، نحو: (قام ، يقوم) من باب (نصر ، ينصر) وأصل (مات): مَوَت ، تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا ، وأصل (يموت): (يَمُوت) ، بضم العين ، ثم نقلت ضميتها إلى الساكن قبلها ⁵ ، وهما لغتان ترجعان إلى أصل الاشتقاق ⁽⁶⁾ .

¹ (اللهجات العربية القديمة 276

² (ينظر: النشر لابن الجزري 405/1.

³ (الممتع في التصريف 392).

⁴ ينظر: البدور الزاهرة 131 .

⁵ (ينظر: المذهب في القراءات العشر 140 وما بعدها (بتصرف) .

6 (المقتبس في اللهجات العربية والقرآنية 71 .

وقال بعضهم: إنما هو مِتَّ تموت , على وزن (فَعَلَّتْ تَفْعُل) , ونظيره من الصحيح: فَضِلْتُ تَفْضُل⁽¹⁾. ومثله من المعتل "دمت تدوم" و زاد ابن القطاع: "كدت تكود" و "جدت تجود" , و جاء فيهما: تكاد و تجاد , وهو من تداخل اللغات⁽²⁾.
و خلاصة القول فيها أن الفعل المضارع من (مات) يأتي على وجهتين في اللسان العربي , إمّا (يموت) , وإمّا (يمات) على ما ذكرناه من تخريج للآية القرآنية السابقة , والله أعلم .

المطلب الخامس: الفعل الأجوف بين الفتح والإمالة:

ومن تنوّع اللهجات في نطق الفعل الأجوف في بعض حالاته ما يسمى بالإمالة , وهي ضد الفتح , وتعريفهما: ((والفتح هنا عبارة عن فتح القارئ لفيه بلفظ الحرف , وهو فيما بعده ألف أظهر , ويقال له أيضاً التفخيم , وربما قيل له النصب ... , ويقال له الترقيق , وقد يقال له أيضاً التفخيم بمعنى أنه ضد الإمالة. والإمالة أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء (كثيراً) وهو المحض , ويقال له: الإضعاف , ويقال له: البطح , وربما قيل له الكسر أيضاً (وقليلاً) وهو بين اللفظين , ويقال له أيضاً التقليل والتلطيف وبين بين))⁽³⁾.

والإمالة تقسم على قسمين:

- **الشديدة:** وعُرِفَتْ بأنها تقريب الفتحة من الكسرة , والألف من الياء , من غير قلب خالص ولا إشباع مبالغ فيه⁽⁴⁾ . وتسمّى أيضاً الكبرى , وهي المقصودة عند الإطلاق⁽⁵⁾.
- **المتوسطة:** وهي ما بين الفتح والإمالة الشديدة . وتسمّى التقليل والتلطيف , وبين بين , وبين اللفظين⁽⁶⁾ , والصغرى⁽⁷⁾.

وهذه الإمالة هي من كلام العرب وسنة جارية على ألسنتهم , على اختلاف قبائلهم كثرة وقلة . وروي عن الإمام الداني قوله: "والإمالة والفتح لغتان مشهورتان فاشيتان على ألسنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم"⁽⁸⁾.

والذي يهمنا من هذا الباب هو ما يتعلّق بالفعل الأجوف والاختلاف النطقي فيه , ومن المصادر الموثوقة والتي حفظت لنا النوع هو ما وجدناه في القراءات القرآنية , لأنها الوسيلة الوحيدة والتي تُقَلَّتْ متواترة هي التي تدلّنا على المنطوق في ذلك الزمن, وقبل الحديث في ذلك نذكر بعض المسائل في الإمالة , ونقتصر على ما يهمنا في بحثنا , ونشير إلى بعض القواعد المتعلّقة بالإمالة.

أسباب الإمالة:

والأصل في سبب الإمالة هو التخفيف الصوتي , وخاصة فيما يجاور ما يوجب الكسر , أو نظرا لأصل الكلمة اليائي أو المكسور , وأمّا ما يخص الإمالة في الفعل الأجوف والسبب الذي من ورائه أميلت ألف الفعل الأجوف هو ما ذكره سيبويه بأن من

¹ دقائق التصريف 261 .

² ينظر: المصباح المنير (كتاب الميم , الميم مع الواو وما يثلثهما) 251/2.

³ (النشر 30/2 .

⁴ (إبراز المعاني 204 .

⁵ (إتحاف فضلاء البشر 247/1 .

⁶ (النشر 30/2 .

⁷ (إتحاف فضلاء البشر 247/1 .

⁸ (النشر 30/2.

أنواع الألف التي تمال في كلام العرب ، هو كل ما كان "من بنات الياء والواو مما هما فيه عينٌ ، إذا كان أول "فعلت" مكسوراً نَحَوًا نحو الكسر كما نَحَوًا نحو الياء فيما كانت ألفه في موضع الياء ، وهي لغة لبعض أهل الحجاز ، فأما العامة فلا يميلون . ولا يميلون ما كانت الواو فيه عيناً إلا ما كان منكسر الأول ، وذلك: خاف وطاب وهاب" (1).

وهذا ما سنجده في دراستنا لأشكال الإمالة في القراءات القرآنية ، وتخريجاتها اللهجية ، وسنقف على ما يتعلّق بالفعل الأجوف فقط ، وإلاّ فهناك مسائل كثيرة ومتشعبة في الإمالة ، مما ليس من موضوع دراستنا .

موانع الإمالة:

1- يجب أن لا تسبق ببعض الحروف ؛ وذلك لأنها تمنع الإمالة ، وهي: الصاد والضاد والطاء والظاء والغين والقاف والحاء إذا كان حرف منها قبل الألف والألف تليه وذلك قولك قاعدٌ وغائبٌ وخامدٌ وصاعدٌ وطائفٌ وضامٌ وظامٌ (2). * ويعلّل سيبويه سبب منع هذه الحروف من الإمالة وذلك ((لأنها حروف مستعلية إلى الحنك الأعلى ، والألف إذا خرجت من موضعها استعلت إلى الحنك الأعلى ، فلما كانت مع هذه الحروف مستعلية غلبت عليها كما غلبت الكسرة عليها في مساجد ونحوها ، فلما كانت الحروف مستعلية وكانت الألف تستعلي وقربت من الألف كان العمل من وجه واحد أخف عليهم ، كما أنّ الحرفين إذا تقارب موضعهما كان رفع اللسان من موضع واحد أخف عليهم فيدغمونه)) (3).

2- ولا يميلون بنات الواو إذا كانت الواو عيناً إلا ما كان على فعلت مكسور الأول ليس غيره ، ولا يميلون شيئاً من بنات المضموم الأول من "فعلت" لأنه لا كسرة ينحى نحوها (4).

الإمالة بين القراءات واللهجات:

ومن مواطن الإمالة ما جاء في بعض القراءات ، وكذلك ما رُوي عن العرب في كلامهم ، ففي القراءات مثلاً نذكر بعض أنواع الإمالة المتعلقة بالفعل الأجوف فقط ، وإلاّ فباب الإمالة واسع وكبير ، ومن ذلك الأفعال: (زاد - شاء - ران - خاف - وجاء) أمال كلّ هذه الأفعال حمزة الكوفي ، ووافقته الكسائي في بعضها (5).

وهذه الأفعال الممالاة أغلبها من ذوات الياء ، وأما ما كان واويّ الأصل مثل: (خاف) فالإمالة جاءت فيه لعلتين: ((إحداهما أن يدلّ بالإمالة على أنه فعل ، وأصله خَوْف فدلّت الإمالة على كسرة الواو في الأصل ، والعلّة الأخرى أنه أمال لتدلّ الإمالة على كسر الحاء في الإخبار ، إذا قلت: خِفْتُ)) (6).

ومما جاء في كلام العرب من ذلك إمالة الفعل (مات) ، ومما جاء في ذلك في دقائق التصريف قوله: ((وأمال بعضهم: مات ، وخاف ، وإن كانت من الواو للكسرة في قولهم: مِتُّ ، وخِفْتُ ، ولا يجوز أن يقال: قال ؛ لأن القاف في (قُلْتُ) مضمومة لا يجوز كسرها . وقد قال يونس: هذا مال ، وهو شاذ لا يقاس عليه ، وأنشد يونس قول ذي الرمة (7):

¹ (ينظر: الكتاب لسيبويه 120/4-121 .

² (ينظر: الكتاب لسيبويه 128/4 .

³ (الكتاب لسيبويه 129/4 .

⁴ (ينظر: الكتاب لسيبويه 120/4 .

⁵ (ينظر: اللهجات العربية في القراءات 138 .

⁶ (الكشف لمكي القيسي 195/1 .

⁷ (ينظر: ديوان ذي الرمة 46 .

إذا مات فوق الرجل أحييت نفسه بذكراك والعيس المراسيل جُنَحُ)) (1).

وهذه الإمالات بمحملها جاءت على لهجة بني تميم وبعض القبائل العربية ، حيث أن أهل الحجاز كانوا لا يميلونها ، وقال ابن يعيش: فالإمالة لغة بني تميم ، والفتح لغة أهل الحجاز ، ونَقَلَ عن القراء قوله: بأن أهل الحجاز يفتحون ما كان من مثل: شاء ، وخاف ، وجاء ، وكاد ، وما كان من ذوات الياء والواو ، وأهل نجد من تميم وأسد وقيس يسرون إلى الكسر من ذوات الياء في هذه الأشياء ، ويفتحون في ذوات الواو ، مثل: قال ، وجال (2).

وجاء في النشر ((أن الفتح لغة أهل الحجاز ، والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس)) (3) .

ومما يستأنس به من أن أهل الحجاز كانوا على غير صلة بالإمالة بما ذكره السيوطي من أن رسول الله ﷺ سَمِعَ يقرأ: ((يا يحيى)) فقليل له: يا رسول الله تميل وليس هي لغة قريش ؟ فقال: هي لغة الأخوال بني سعد (4).

وكذلك ما روي عن الكسائي أنه حجّ مع هارون الرشيد وقُدِّمَ لبعض الصلوات فأمال في قراءته ، فأنكروا عليه (5).

وهذا لا يعني أن أهل الحجاز لا يميلون إطلاقاً ، فالأكثر عندهم هو الفتح ، وقد يكون لأهل الحجاز ما هو ممال ، وفي ذلك يقول سيبويه عن علاقة الإمالة بأهل الحجاز ، فيقول: ((وهي لغة لبعض أهل الحجاز ، فأما العامة فلا يميلون)) (6) ، وهذا ما يراه بعض الباحثين المستشرقين ، مستندا فيه على ما ذكره سيبويه في الكتاب بقوله: وبلغنا عن ابن أبي إسحاق أنه سمع كثير عزة يقول صار بمكان كذا وكذا (7) ، وذكر هذا الباحث تفسيراً لذلك وهو أنه قال: صير (صار) ، على أن بعض الحجازيين هم الذين استعملوا هذه الصيغة ، وقال: وربما تتيح لنا حكاية كثير أن نخمن أن كبار السن هم الذين تكلموا بالإمالة (8).

وأما من حيث تاريخها ، وتعقّب وجودها فهناك خبر يشير إلى أنّ الإمالة جاءت أصولها من أرض العراق ، حيث أنه قد سئل بعض النحويين: ((من أين أخذت العرب هذه الحروف (أي الإمالة) ، فقال: قَدِمَتِ العربُ العراقَ وهم لا يقرؤون كثيراً من القرآن ولا يكتبون ، فكان الكتاب بالحيرة وهم أنباط ، وكانوا يُعَلِّمون العرب من القرآن ما لم يقرؤوه ولم يتعلّموه ، وهي لغة الحيرة والأنباط فأخذوا من لفظهم ولغتهم . وكان بعض النحويين إذا سمع إنساناً يقرأ: (فرادهم) غضب وقال: أحيوية أم نبطية؟)) (9).

والواقع يشهد لذلك ويؤكدّه ؛ وذلك أنه بعد استقرار القراءات ومذاهب القراء في الإمالة ، نجد أنّ أكثرها كانت عند قراء العراق ، وفي ذلك يقول عبده الراجحي: ((ومعنى ذلك أنّ الإمالة كانت شائعة في قراءات أهل البصرة والكوفة ، أي في البيئة العراقية)) (10).

¹ (دقائق التصريف 533 .

² (ينظر: شرح المفصل لابن يعيش 54/9 .

³ (النشر 30/2 .

⁴ (ينظر: الإتيان للسيوطي 91/1 .

⁵ (ينظر: معجم الأدباء لباقوت 1741-1740/4 .

⁶ (الكتاب 120/4 .

⁷ (الكتاب 121/4 .

⁸ (ينظر: اللهجات العربية القديمة 223 .

⁹ (دقائق التصريف 257 .

¹⁰ (اللهجات العربية في القراءات القرآنية 139 .

ولكن الإمالة عند أهل البصرة أقل بكثير من قراء الكوفة , بل ليس هناك من مقارنة , ولعلّ السبب في ذلك هو ما ذكره إبراهيم من أنّ ((الصراع العلمي الذي كان بين الكوفة والبصرة هو الذي دعا إلى هذه المغايرة , وإلى أن تتخذ البصرة طريق الفتح في معظم المواضع , حتى لا تشبه الكوفة في إمالتها))⁽¹⁾.

واستنتج عبده الراجحي بأنّ الإمالة منسوبة إلى القبائل البادية في وسط الجزيرة العربية وشرقيها , والفتح إلى غربيها , وأنّ ذلك راجع إلى أنّ أهل البادية يستعملونها في كلامهم إلى الاقتصاد في المجهود العضلي , والإمالة تحقق لهم ذلك بما فيها من انسجام بين الأصوات , ولكن وجود الإمالة في اليمن وعند الحجازيين في مواضع قليلة يجعل الدارس يقرر أنّها كانت منتشرة في شبه الجزيرة كلها , وهي ظاهرة تؤكد بأن اللغة العربية المشتركة لم تقم على لهجة قريش وحدها⁽²⁾.

ولكن إبراهيم أنيس يشير إلى أنّ الإمالة ليست من العراق أصالة , وإنما جاءت من القبائل القريبة التي سكنت العراق , فيقول: ((فأئمة القراءة الذين اشتهرت عنهم الإمالة كوفيون , أي تأثروا بتلك القبائل التي أقامت بالعراق , أو تعودت النزوح إليه , وهي قبائل قريبة مساكنها من العراق , وعُرفت لهجاتها بالإمالة))⁽³⁾.

وعلى قول إبراهيم أنيس يتبين لنا صحّة استنتاج الراجحي من أنّ الإمالة منسوبة إلى القبائل في وسط الجزيرة العربية , وانتقلت بعد ذلك إلى مدن العراق , وظهرت أكثر الظهور في قراءات الكوفة , إثر تأثرهم بتلك اللهجات , مع نقلها بسند متواتر صحيح عن النبي ﷺ.

ويرى ضاحي عبد الباقي أنه من العجيب أنّ التميميين الذين سمعنا كلامهم , أو حُكِيت لهجاتهم من المقيمين بالجزيرة العربية , نرى أنّ الإمالة تكاد تتلاشى من كلامهم , واعتمد في ذلك على تسجيل لصالح الحميدي وهو من وادي الدواسر , ووجده بأنه ينطق بعض الكلمات بدون إمالة , مثل: صالح , وريّال (رجل) , وينعاب (أي يعاب عليه) , وغير ذلك من الكلمات⁽⁴⁾. والذي أراه أنه لا عجب في المسألة ؛ وذلك أمر طبيعي في التطور اللهجي . وما ذكره العلماء من وصف لنطق التميميين كان في أزمنة بعيدة جاوزت مئات السنين , فليس من السهل المحافظة على الصورة النطقية الأولى كما هي دون تغيير أو تبديل , والله أعلم .

المطلب السادس: الرسم الإملائي في خط المصحف , ودلالته على الإمالة:

فهذه الإمالات مع أنّها مروية بأسانيد القراء الكبار , نجد لها دلالات في الخط المصحفي , ولقد كان لرسم المصحف دور في الحفاظ على هذه اللهجة , فقد استند القراء على الإمالة أيضا بما حفظه لهم الرسم من إشارة لها , وهذا ما ذكره السجستاني بقوله: ((احتجّ الكوفيون في الإمالة بأنهم وجدوا في المصحف الياءات في موضع الألفات , فاتبعوا الخط وأمالوا ليقربوا من الياءات))⁽⁵⁾.

¹ (في اللهجات العربية 55 .

² (اللهجات العربية في القراءات القرآنية 141 .

³ (في اللهجات العربية 54 .

⁴ (لغة تميم لضاحي عبد الباقي 289 .

⁵ (الاتقان للسيوطي 91/1 .

فَرَسَمُ الكلمات التي أَمَاحُها القَرَاءُ نَجِدُ أَغْلِبُها قَدْ رَسَمَتْ أَلْفُها بِالْيَاءِ ، وَفِي رَسْمِها دَلَالَةٌ عَلى إِمَالَتِها ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الدَّانِي:
 ((اعْلَمْ أَنَّ الْمُصَاحِفَ اتَّفَقَتْ عَلى رَسْمِ مَا كَلَنَ مِنْ ذَوَاتِ الْيَاءِ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالْأَفْعَالِ بِالْيَاءِ عَلى مُرَادِ الْإِمَالَةِ ، وَتَغْلِيْبِ الْأَصْلِ ...
 وَذَلِكَ نَحْوُ: الْمَوْتَى ، وَالسُّلُوى ، وَالْمَرْضَى ، وَالْأُسْرَى ، وَشَتَّى ...)) ⁽¹⁾.

والذي يهمننا من رسم الإمالة ما كان من الفعل الأجوف ، فنقل الإمام الدائي عن عامر الجحدري أنه قال: رأيت في مصحف عثمان رضي الله عنه : ﴿ مَا طَابَ ﴾ : ﴿ مَا طَيْبَ ﴾ . ونقل أيضا عن الإمام الكسائي أنه رأى في مصحف أبي بن كعب رضي الله عنه : ﴿ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ ﴾ : ﴿ جِيَاءَتْهُمْ ﴾ و ﴿ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ ﴾ : ﴿ جِيَا ﴾ . وكذلك روي عن أبي حاتم أنه قال: في مصحف أهل مكة: ﴿ جَاءَ ﴾ : ﴿ جِيَا ﴾ و ﴿ جَاءَتْهُمْ ﴾ : ﴿ جِيَاءَتْهُمْ ﴾ كتبنا على الأصل⁽²⁾.

ولكن هذا لا نجد له وجود في مصاحفنا اليوم ، وهذا ما ذكره الداني بقوله: ((ولم نجد ذلك كله مرسوما في شيء من مصاحف الأمصار))⁽³⁾.

ومن الممكن أن يفسّر هذا الشيء بأنه وجد في مصاحف بعض الصحابة الخاصة ، أو من المصاحف التي كانت قبل أن تتوحد بالرسم العثماني ، واحتفظَ ببعضها ، وهذا ما رآه بعض العلماء الذين ذكرنا رأيهم سابقا ، وعلى هذا الأساس نستطيع أن نقول بأنّ المصاحف قد احتفظت لنا ببعض الصور الصوتية ، ومن ذلك الإمالة ، والله أعلم .

[illegible]

وختام القول في المسألة هو أنّ ما بأيدينا من القراءات يلاحظ بصورة عامة أنّ قراء العراق , خاصة في الكوفة , كانوا أكثر رواية للإمالة من قراء الحجاز , فأشهر من رُوِيَ عنهم الإمالة من القراء العشرة هم حمزة والكسائي وخلف , وهم أئمة القراءة في الكوفة , أما قراء الحجاز أمثال ابن كثير المكي , وأبي جعفر ونافع المدنيين , فلا تُعرفُ الإمالة في قراءتهم إلا نادرا , ومعنى ذلك أنّ اللغة السائدة في الحجاز والقراءة التي كان قراء مكة والمدينة يقرؤونها هي بصورة عامة الفتح دون الإمالة , أي أنّ الإمالة لم تكن لغة الذين وُلّوا نسخ المصاحف ⁽⁶⁾ , والله تعالى أعلى وأعلم .

¹ (المقنع للداني 436 .

(²) ينظر: المقنع 450-451.

(³) المقنع 451.

⁴ (ينظر: النشر لابن الجزري 41/2 .

(⁵) منجد المقرئين 192 .

⁶ (ينظر: رسم المصحف لغانم قدوري الحمد 321 .

المبحث الثالث:

الفعل المبني للمجهول من الفعل الأجوف

وللفعل المبني للمجهول نصيب من الاختلاف اللهجي في كيفية نطقه وتخرجه ، وللعرب في معاملة هذا الشكل من الفعل الأجوف ثلاثة مذاهب كما ذكر ذلك علماء الصرف ، فجاء في الممتع في التصريف: ((فإن كان الفعل مبنيًا للمفعول صيرته على "فعل" ، فتضم فاءه وتكسر عينه ، فتقول: قُولَ ، ويُع ، فتستقل الكسرة في الياء والواو ، فمنهم من يحذفها فيُسكن الواو فتصير: قُؤْل ، ويُسكن الياء ، فتصير ساكنة بعد ضمة فتُقلب واوًا ، فيقول: بُؤْع ، ومنهم من ينقل الكسرة من العين إلى الفاء ، فيقول: بُيْع ، وأما قُؤْل فينقل الكسرة من العين إلى الفاء فتصير الواو ساكنة بعد كسرة فتتقلب ياءً ، فيقول: قَيْل ... ، ومن العرب من إذا نقل الكسرة من العين إلى الفاء ضمّ الفاء ضمةً ، دليلًا على أنّ الفاء مضمومة في الأصل)) (1).

وأما نسبة كل شكل من أشكاله إلى لغات العرب فأشار إلى ذلك أبو حيان في تفسيره إلى هذه المذاهب الثلاثة (2):

- 1 - إخلاص كسر أوله وسكون عينه ياء ، وذلك في لغة قريش ومجاورهم من بني كنانة .
 - 2 - إمالة لكسرة نحو الضم ، وهي لهجة كثير من قيس وعقيل ومن جاورهم وعامة بني أسد .
 - 3 - سوي ذلك لغة ثالثة ، وهي إخلاص ضم فاء الكلمة وسكون عينه واوًا ، ولم يقرأ بها ، وهي لغة لهديل ، وبني دبير .
- فأما اللغة الأولى وهي لغة قريش ، ووصفت بأنها الفصيحة (3) ، فمثلا: الفعل (قال) حين بناءه للمجهول يصير (قَيْل) ، ومثل ذلك: (غاض) : نقول فيه: (غَيْض) .

وتخرج المسألة بناءً على أقوال الصرفيين ، هو أنّ الفعل (قال) أصله: قَوْلَ ، وحين بنائه للمجهول يصير (قُؤْل) ، مثل كُتِبَ ، وقُرِ ، وغيرها من الأفعال ، ومثل ذلك الفعل (غاض) أصله: غَيْضَ ، فحين البناء للمجهول يصير (غُيْضَ) ، فاستثقلت الكسرة في الواو والياء ، ففي (قُؤْل) نُقِلَت الكسرة من العين إلى الفاء فأصبحت الواو ساكنة بعد كسرة فتتقلب ياءً ، فيقال: قَيْل ، وفي (غُيْضَ) نُقِلَت الكسرة من العين إلى الفاء ، فصارت: (غَيْضَ) ، والله أعلم.

وأما اللغة الثانية وهي ما تعرف بالإشمام ، وهذا يُعَدُّ من اختلاف لهجات العرب في الفعل الأجوف المبني للمجهول ، ويتميّز هذا النوع بأنه ما زال محفوظًا مقروءًا به في القراءات القرآنية المتواترة ، ولأهميته وندرته سنقف عنده موضحين ما له من تنوع واختلاف ، وللقراء فيه مذاهب عديدة ، وهذا الاختلاف بين القراء لا يهمّ بحثنا إلّا من ناحية التوثيق العلمي ، وإلا سيكون التركيز على هذا الظاهرة دون تعليل لسبب اختلافهم .

وأما الكلمات القرآنية التي رُوِيَتْ بالقراءات الصحيحة - مع اختلاف القراء في ذلك - وقُرئت بهذه الطريقة العربية هي: (قيل ، غيض ، جئ ، حيل ، سيق ، سئ ، سيئت) ، وجمعها الإمام الشاطبي في منظومته بقوله:

وقيل وغيض ثم جئ يشمها لدى كسرهما ضمًا رجال لتنبلا
وحيل بإشمام وسيق كما رسا وسئ وسيئت كان راويه أنبلا (4)

¹ (الممتع في التصريف 294-295 .

² (ينظر: تفسير البحر المحيط 100-99/1 .

³ (دقائق التصريف 260 .

⁴ (حزر الأمامي ووجه التهاني ص: 450 ، البيت 447-448 .

ويوضح لنا الإمام عبد الفتاح القاضي هذه الصورة النطقية بما نقله عن السفاقي بما هو قوله: ((وكيفية ذلك أن تحرك القاف بحركة مركبة من حركتين ضمة وكسرة، وجزء الضمة مقدّم وهو الأقلّ، ويليه جزء الكسرة وهو الأكثر))⁽¹⁾. وهذا الصوت لا يمكن قراءته إلا بالأخذ مشافهة من أفواه المشايخ القراء، لأنه نُقِلَ بالتواتر النطقي في تلقي القرآن الكريم. ودكّر هذا النوع ابن جنيّ بأنه من باب الإمالة، أي من باب إمالة الكسرة نحو الضمة، وقيد ذلك هو ما يكون في الفعل الثلاثي الذي قُلبت عينه ألفا في الماضي، كـ (قال) إذا بني للمجهول، ومما قاله: ((وأما الكسرة المشوبة بالضمة فنحو: قِيلَ وُثِّعَ وغِيضَ وسُيِّقَ، وكما أنّ الحركة قبل هذه الياء مشوبة بالضمة، فالياء بعدها مشوبة بروائح الواو))⁽²⁾. وتعليل هذه الصورة النطقية هو أنّ أصل هذه الأفعال أن تكون مضمومة؛ لأنها أفعال لم يُسمّ فاعلها، فأصل (قيل، وسيق) هو: (قُول، وسُوق)، ثم أُلقيت حركة الثاني منها على الأول، فانكسر، وحذفت ضمته، وسكن الثاني منها، فإشمام أوائلها الضمّ هو لبيان أن أصل أوائلها الضمّ، وهذه سنة جارية في لسان العرب، إذ أنّ من شأنهم في كثير من كلامهم هو المحافظة على بقاء ما يدلّ على الأصول، وأيضا فهذه أفعال مبنية للمجهول، فالإشمام يُبقي في الفعل ما يدلّ على أنه مبني للمفعول لا للفاعل، وعلة الكسر الخالص هو أنها جئ بها على ما وجب لها من الإعلال⁽³⁾. وأما نسبة ذلك إلى القبائل العربية، فالإشمام في هذا كله جاء على لغة قيس وعقيل، وعدم الإشمام لغة عامة العرب⁽⁴⁾. وعلل بعض الدارسين هذه الظاهرة وعلاقتها مع الإمالة الأم هو: ((أن إخلاص الكسر عند قريش ومحاورهم من بني كنانة تناسب ما يذهبون إليه من الفتح، وهذه اللهجة نستطيع أن ننسبها إلى بيئة الحجاز ...، والقبائل التي تذهب إلى إمالة الكسرة نحو الضمة هي نفسها القبائل التي اشتهرت بالإمالة، وهي قبائل وسط شبه الجزيرة العربية وشرقيها))⁽⁵⁾. وهذا يشير إلى أنّ القبائل البدوية بوجه عام تميل إلى مقياس اللين الخلفي المسمّى بالضمة؛ لأنه مظهر من مظاهر الخشونة البدوية، فحيث كسرت القبائل المتحضرة وُجِدَت القبائل البدوية تضم، والكسر والضم من الناحية الصوتية متشابهان؛ لأنهما من أصوات اللين الضيقة⁽⁶⁾.

وأما اللغة الثالثة، وهي إخلاص الضمة وجعل العين تابعة لفاء الفعل، فيقال: بُوع، وخُوف، وقُول، قال الشاعر:

وهو إذا ما قُول هل من وافد

أو رجل عن حثكم منافدٍ

يكون للغائب مثل الشاهد

وقال الآخر:

ألم تر أن الملك قد شُونَ وجُهِهُ ونَبَعَ بلاد الله قد صار عوسجا⁽¹⁾.

¹ البدور الزاهرة 71.

² سر صناعة الإعراب 53-52/1.

³ الكشف عن وجوه القراءات 230/1.

⁴ المكتسب من اللهجات العربية والقرآنية 99.

⁵ اللهجات العربية في القراءات القرآنية 142-141.

⁶ ينظر: في اللهجات العربية 81.

وفي ذلك يقول أبو بركات الأنباري: ((ومن العرب أيضا من يحذف الكسرة ولا ينقلها , ويقر الواو لانضمام ما قبلها , وثقلب الياء واوا لسكونها وانضمام ما قبلها كما قال الشاعر: "ليت وهل ينفع شيئا ليت ليت شبابا بوع فاشترت " أراد بيع , فثقلب الياء واوا لسكونها وانضمام ما قبلها , كما قلبوها في نحو: موسر وموقن , والأصل ميسر وميقن ؛ لأنهما من اليسر واليقين , إلا أنه لما وقعت الياء ساكنة مضموما ما قبلها قلبوها واوا فكذلك ههنا))⁽²⁾.

وقال النحاس في إعرابه: ((وهي لغة كثير من قيس فما هذيل وبنو دبير من بني أسد وبنو فقعس))⁽³⁾ , ووُصفت بأنها أضعف اللغات⁽⁴⁾.

وعلى نفس هذه القاعدة عُمِلت بعض الأفعال الزائدة على الثلاثي , فمثلا الفعل (انقاد , واختار , واقتاد) إذا بُنِيَتْ للمفعول جرت عليها الأحكام السابقة للفعل المبني للمجهول في هذه اللهجات , ((فمن قال في قال وباع: قيل وبيع , قال: انقيد , اختير , واقتيد . ومن أشار إلى الضمة هنالك فأشَمَّ أشَمَّ هنا , ومن قال: قول , وبوع , قال: انقُود , واخْتُور , واقتُود))⁽⁵⁾ .

¹ ينظر: دقائق التصريف 260 , ووجدت الشاهد الأول في لسان العرب ولكن بنص: وهو إذا ما قيل ... مادة (نقد) , ولم يتيسر لي أن أجد تأكيدا للشاهد إلا من دقائق التصريف , وأما الشاهد الثاني فذكره كذلك النحاس في إعراب القرآن 3/ 535 .

² أسرار العربية للأنباري 92-93 .

³ إعراب القرآن للنحاس 1/ 138 .

⁴ توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك 2/ 602 .

⁵ الممتع في التصريف 308 .

المبحث الرابع:

ج اسم المفعول من الفعل الأجوف

اسم المفعول من الفعل الثلاثي المعتل العين هو إما أن يكون يائي الأصل أو واويّه ، وسنقف عند كليهما مستعرضين بعض مسائلهما:

المطلب الأول: اسم المفعول من الفعل الأجوف يائي الأصل:

وللعرب في معاملته مذهبان:

- الإتمام: وهو أن يجيئون به على وزن (مفعول) دون إعلال، فيقولون مثلاً: مَبْنُوعٌ ، وَمَدْيُونٌ ، وَمُخَيَّوطٌ ، وَمُعْيُونٌ ، وَمُعْيُومٌ ، وَمُطَيَّبٌ⁽¹⁾ ، وتنسب هذه إلى بني تميم⁽²⁾ ، وجاء على ذلك قول علقمة بن عبدة:

حَتَّى تَذَكَّرَ بَيَّضَاتٍ وَهِيحُهُ يَوْمُ رَدَاذٍ عَلَيْهِ الرِّيحُ مُعْيُومٌ⁽³⁾ .

وعلى ذلك أيضاً ((أنشد أبو عمرو بن العلاء: وكأنها تَفَاحَةٌ مطبوبة ...))⁽⁴⁾ .
- (النقص): ((وذلك مثل: مبيع ، ومخيوط ، ومدّين ، بدلا من مبيوع ، ومخيوط ، ومدّيون ، بحذف أحد حروف مفعول مع كسر فاء الكلمة ، وهذا المحذوف إما عين الكلمة ، وإما واو مفعول))⁽⁵⁾ ، وبعضهم يقول في "مكيل": (مكول) ، وتُسببت هذه اللهجة إلى بني أسد⁽⁶⁾ .

* فائدة:

ذكر النحاس في إعراب القرآن تعقيبا على قوله تعالى: ((وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيرًا مَهِيلاً)) سورة المزمل 14 ، فقال: ((الأصل مهيل ، فأعلل فألقيت حركة الياء على الهاء ، فالتقى ساكنان ، واختلف النحويون بعد هذا ، فقال الخليل وسيبويه: حذفت الواو لالتقاء الساكنين ؛ لأنها زائدة وكسرت الهاء لمجاورتها الياء فقبل مهيل ، وزعم الكسائي والفراء والأخفش: أنّ هذا خطأ ، والحجة لهم أنّ الواو جاءت لمعنى فلا تحذف ولكن حذفت الياء ، فكان يلزمهم على هذا أن يقولوا "مهول" فاحتجوا بأن الهاء كسرت لمجاورتها الياء ، فلما حذفت الياء انقلبت الواو ياء لمجاورتها الكسرة . قال أبو جعفر: وهذا باب التصريف وغامض النحو))⁽⁷⁾ .

¹ (ينظر: لغة تميم لضاحي عبد الباقي 443 .

² (ينظر: الخصائص لابن جني 272/1 .

³ (المفضليات 399 .

⁴ (الخصائص لابن جني 272/1 .

⁵ (لغة تميم لضاحي عبد الباقي 444 .

⁶ (ينظر: في اللهجات العربية 83 .

⁷ (إعراب القرآن للنحاس 534/3 .

المطلب الثاني: اسم المفعول من الفعل الأجوف واويّ الأصل:

وهذا النوع من الفعل الأجوف "يكاد يجمع العلماء أنه لا يأتي منه مفعول بالتمام ، وإّما يأتي بالنقص" ، إلّا في ألفاظ معدودة وردت بالتمام والنقص ، وفي ذلك يقول ابن جني في خصائصه: ((وربما تخطّوا الياء في هذه إلى الواو ، وأخرجوا مفعولا منها على أصله ، وإن كان أثقل منه من الياء ، وذلك قول بعضهم: ثوب مصوّون ، وفرس مقوود ، ورجل معوود من مرضيه ، وأنشدوا فيه: والمسك في عنبره مذووف))⁽¹⁾.

واعتبر ابن عصفور الأشبيلي أنّ هذا الإتمام في هذا النوع شاذّ ، وعلّل عدم الجواز بكون الواو أثقل من الياء⁽²⁾. وذكر ابن خالويه بأنّه ليس من كلام العرب من ذوات الواو مفعول خرج على أصله إلّا في حرفين: يقال: مسك مذووف ، وثوب مصوون⁽³⁾.

وقد حكم عليه الأشموني على هذا النوع بأنه نادر لا يقاس عليه فقال: (("وَنَدَرُ تَصْجِيحُ ذِي الْوَاوِ" من ذلك في قول بعض العرب: ثوب مصوون، ومسك مذووف، وفرس مقوود، ولا يقاس على ذلك خلافاً للمبرد))⁽⁴⁾.

وعلى هذا الأساس من الممكن القول بأن الأصل فيه هو أن يأتي بالنقص ، وما جاء منه بالتمام فهو شاذّ ، ومحصور بألفاظ معدودة منها: "مذووف ، ومصوون ، ومقوود ، ومعوود" ، على اختلاف بين العلماء في ذلك⁽⁵⁾ ، وهذا لا يشكّل اختلاف لهجيّ حقيقي ، لأنّها مسألة تأصيلية لقاعدة صرفية ، ولم يتعرّضوا لوقوعها في لهجة دون أخرى ، إلّا ما ذكره الجندي من أنّ أهل الحجاز يُعلّونه وينقصونه ، وغيرهم يقولونه بالتمام ، ونسب ذلك إلى أمالي الشجري⁽⁶⁾ ، ورجّح أيضا بأنّ التمام منسوب لتميم ، وقال في ذلك: ((ولما كانت العادة أن تقابل الصيغة الحجازية بالتميمية ، فأرجح لهذا أن الصيغ التامة الواوية والتي جاءت مهملة العزو في كتب العربية هي لتميم))⁽⁷⁾. واستند في ذلك على بعض الروايات التي جاءت في المعاجم العربية ، ومن ذلك ما جاء في اللسان مثلا ((رجلٌ مَعُوذٌ وَمَعُوذٌ ، الأخيرة شاذة وهي تميمية))⁽⁸⁾.

ومما يؤيد الأخذ بما قاله الجندي هو ما قد بقي من هذا النوع في اللهجات المعاصرة ما يدلّ على اتصال اللغة ماضيها بحاضرها ، ففي اليائيّ منه مثلا يقول سكان الحائل وما حولها - ومنهم تميميون -: فلان مديون ، وثوب مخيوط ، والتفاحة مطبوبة ، ومن الواويّ نجد كذلك من اللهجات المعاصرة ما هو محتفظ بالأصل القديم ، ومن أمثلة ذلك قولهم في الحجاز: معيوف (اسم شخص) ، ومشيوف ، ومطيوع ، ومصبيوع⁽⁹⁾.

ويخلص ضاحي عبد الباقي بنتيجته وهي: ((أنّ الصيغة التميمية "يائية كانت أو واوية" هي التامة ، والحجازية هي الناقصة ، فهذا لا يعني سوى أمر واحد هو أنّ الصيغة التميمية تمثل مرحلة أقدم من الحجازية ، وقد أشار القدماء إلى ذلك فسيبويه - وإن لم

¹ (الخصائص لابن جني 272/1 .

² (ينظر: الممتع في التصريف 300 .

³ (ينظر: اللهجات العربية في التراث للجندي من غير أن ينسب القول إلى مرجع صراحة 528/2 .

⁴ (شرح الأشموني 133/2 .

⁵ (يراجع: لغة تميم لضاحي عبد الباقي 445 .

⁶ (ينظر: اللهجات العربية في التراث 528/2 .

⁷ (اللهجات العربية في التراث 529/2 .

⁸ (لسان العرب ، مادة (عود) .

⁹ (ينظر: لغة تميم لضاحي عبد الباقي 446 (بتصرف) .

يحدد الناطقين - يقول: "وبعض العرب يخرجوه على الأصل فيقول مخيوط...⁽¹⁾" , وابن جني يقول في مبيع: " وأصله مبيع "⁽²⁾))
(3).

المبحث الخامس:

المصدر من الفعل الأجوف

وللعرب في مصدر الفعل الأجوف صور عدّة , ومن ذلك المصدر من: (قال , يقول): قَوْلٌ , وقِيلَ , وقالٌ , وإنما صار الواو في (القيلة) و (الحيلة) ياءً لسكونها وكسرة ما قبلها , وفي الحديث: (نحى عن قيل وقال)⁽⁴⁾ , فالقَالَ بمنزلة: القول , وهو مصدر كأنه قال: عن قيل وقول , ويروى أنه جاء في قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: **عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَالَ الْحَقَّ** ڤ مرّيم: ٣٤ , كأنه قال: (قول الحق)⁽⁵⁾.

وهناك صور أخرى لمصدر الفعل الأجوف , ولكن لمست أنها تحقيقية وتعليلية وليست ذات خلاف في النطق اللهجي , ولم تحفظها لنا القراءات , فأثرت عدم ذكرها , ومن ذلك: المصدر (فَعَال) مثل: صيام , فأصلها: صوام⁽⁶⁾ , وطويت طيا , والأصل: طويا , وسيّد وأصلها: سيود⁽⁷⁾ , ونحو وزن: افعلّ , وافعلّ , نحو: ابيضّ وابيضّ , فإنّ العين تصحّ ولا تعتلّ خوفا من الالتباس بالفاعل⁽⁸⁾ , ومثل ذلك الكثير من المسائل , والله أعلم .

¹ (الكتاب لسيبويه 348/4 .

² (الخصائص لابن جني 272/1 .

³ (لغة تميم لضاحي عبد الباقي 447 .

⁴ (الحديث في صحيح البخاري 186/4 .

⁵ (ينظر: دقائق التصريف 262 .

⁶ (ينظر: دقائق التصريف 262 .

⁷ (ينظر: الممتع في التصريف 222 .

⁸ (ينظر: الممتع في التصريف 312 .

الخاتمة:

الحمد لله في البدء والختام، والصلاة والسلام على الهادي إلى سعادة الدنيا والآخرة الأنام، سيدنا محمد عليه من الله أفضل الصلاة وأتمّ السلام .

وبعد: فقد تمت بحمد الله تعالى هذه الدراسة العلمية في هذا البحث الماتع، والتي قد اشتملت على جملة من النتائج، أهمها القيمة العلمية لهذا النوع من الدراسات التي تؤرخ للهجاتنا العربية، وبيان المستعمل منها من المهمل، وتتبع الاختلاف النطقي في باب من أبواب الصرف العربي ألا وهو الفعل الأجوف، ومن النتائج المهمة في ذلك:

* ارتباط اللهجات بالقرآن الكريم ارتباطا وثيقا، كيف لا، وهو نزل بلغة العرب وعلى سننها في كلامها، وقد حافظ القرآن بقراءاته المتنوعة على بعض اللهجات العربية، وخاصة بعض الصور النطقية التي تخصّ الفعل الأجوف، من ذلك الفعل الثلاثي المبني للمجهول، حيث جاء على ثلاثة لهجات كما مرّ بنا في البحث، وقد احتفظ القرآن باثنين دون الثالث.

* ومن المسائل المهمة أيضا هو حفاظ الرسم على بعض اللهجات، مثل الفعل الأجوف الممال، ورسمه بالياء بدل الألف لدلالة أنها ممال.

* واتضح من خلال البحث أنّ أبرز الخلاف الذي وقع بين اللهجات هو ما كان بين لغة الحجاز، ولغة تميم، وهذا يدلّ على أنهما كانا كفرنسي رهان، حتى جاء القرآن بلغة قريش فأوثر على تميم.

* ومن المسائل التي يظهر فيها الخلاف بين اللهجتين:

- صحّح الحجازيون عين بعض الأفعال وأعلّوها التميميون، وصحّح التميميون عين اسم المفعول وأعلّوه الحجازيون .
- ومن ذلك أيضا أنّ أهل الحجاز كانوا يميلون إلى التخفيف في الهمز، وكان التميميون يحققونها .
- كانت تميم تأخذ بالإمالة، وأمّا أهل الحجاز فكانوا يقرؤون بالفتح .

وغير ذلك من المسائل التي أخذ البحث باستقصائها، وتتبع أحوالها، ولا أخفي بأنّ هذا البحث لا يزال بحاجة إلى كثير من الدراسة وعمق النظر؛ ليصل إلى المستوى العلمي الرفيع، وسوف يبقى هذا البحث تحت ناظريّ أهذه وأزيد فيه حتى يكون منه المأمول .

وفي الختام، فهذه عصارة جهدي واجتهادي، فأرجو أن تثنواها، وبضاعتي وأرجو أن لا تزجوها، وبهذه الكلمة الخاتمة تمت هذه دراسة بعض مسائل الفعل الأجوف ووقوعه في لسان العرب، فما كان من صواب فمن الله، فهو الموفق إلى الصواب، وما كان من خطأ وزلل فمن نفسي ...

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع:

1. إبراز المعاني من حرز الأماني: عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة الدمشقي (ت65هـ) - تحقيق: إبراهيم عطوة عوض - دار الكتب العلمية , بيروت -
2. إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر: أحمد بن محمد البنا - تحقيق: شعبان محمد إسماعيل - عالم الكتب , بيروت - ط1 - 1987 .
3. الإتيقان في علوم القرآن: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت911هـ) - المكتبة الثقافية , بيروت - 1973 .
4. الأحكام في أصول الأحكام: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم الظاهري (ت456هـ) - دار الفكر , بيروت - 2007 .
5. أسرار العربية: أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري (ت577هـ) - تحقيق: محمد بهجة البيطار - مطبوعات: المجمع العلمي العربي بدمشق , دون ذكر سنة الطبع .
6. إعراب القرآن: أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت338هـ) - تحقيق: زهير غازي زاهد - مطبعة العاني , بغداد - 1977 .
7. الاقتراح في علم أصول النحو وجدله: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت911هـ) - تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد - مكتبة الصفا , القاهرة - 1999 - دون ذكر الطبعة .
8. البحر المحيط في التفسير: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي (ت754هـ) - دار الفكر , بيروت - 1992 .
9. البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة: عبد الفتاح عبد الغني القاضي - دار السلام , القاهرة - ط1 - 2004 .
10. بغية الوعاة في طبقات النحويين واللغة: جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد السيوطي (ت911هـ) - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - المكتبة العصرية , بيروت - دون ذكر الطبعة وسنة الطبع .
11. تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري (ت538هـ) - صححه: محمد عبد السلام شاهين - دار الكتب العلمية , بيروت - ط1 - 1995 .
12. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البرّ النحوي القرطبي (ت465هـ) - تحقيق: محمد الفلاح - منشورات: وزارة الأوقاف , الرباط - 1980 .
13. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: ابن أمّ قاسم المرادي (ت749هـ) - تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان - دار الفكر العربي , القاهرة - ط1 - 2001 .
14. الجامع الصحيح (المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه , وأيامه) : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت256هـ) - المكتبة السلفية , القاهرة - ط1 - 1400هـ .
15. جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت321هـ) - علق عليه: إبراهيم شمس الدين - دار الكتب العلمية , بيروت - ط1 - 2005 .
16. الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني (ت392هـ) - تحقيق: عبد الحميد هندراوي - دار الكتب العلمية , بيروت - ط1 - 2001 .
17. دقائق التصريف: القاسم بن محمد بن سعيد المؤدّب (من علماء القرن الرابع الهجري) - تحقيق: أحمد ناجي القيسي , وحاتم صالح الضامن , وحسين تورال - مطبعة المجمع العلمي العراقي , بغداد - 1987 .
18. ديوان ذي الرّمة - تقديم وشرح: أحمد حسن بسج - دار الكتب العلمية , بيروت - ط1 - 1995 .
19. رسم المصحف (دراسة لغوية تاريخية) : غام قُدوري الحمد - نشر: اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري , بغداد - ط1 - 1982 .
20. سر صناعة الإعراب: أبو الفتح عثمان بن جني - تحقيق: حسن هندراوي - دار القلم , دمشق - ط1 - 1985 .

21. شذا العرف في فنّ الصرف: أحمد بن محمد بن أحمد الحملاوي (ت1315هـ) - اعتنى به: عبد الحميد هندراوي - دار الكتب العلمية , بيروت - ط4 - 2007 .
22. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك - المكتبة الشاملة - الإصدار الثالث .
23. شرح المفصل: موفق الدين يعيش ابن علي بن يعيش النحوي (ت643هـ) - إدارة الطباعة المنيرية , القاهرة .
24. الصاحبي: أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت395هـ) - تحقيق: السيد أحمد سقر - دار إحياء الكتب العربية , القاهرة - دون ذكر الطبعة وسنة الطبع .
25. صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت261هـ) - دار إحياء التراث العربي , بيروت - ط1 - 2000 .
26. غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القميّ النيسابوري (ت728هـ) - تحقيق: حمزة المشتري , وعبد الحفيظ فرغلي , وعبد الحميد مصطفى المكتبة القيّمة , القاهرة - دون ذكر الطبعة وسنة الطبع .
27. فقه اللغة: علي عبد الواحد وافي - نخضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع , القاهرة - ط6 - 2008 .
28. فقه اللغة في الكتب العربية: عبده الراجحي , دار النهضة , بيروت - دون ذكر الطبعة وسنة الطبع .
29. في اللهجات العربية: إبراهيم أنيس , مطبعة أولاد وهبه حستان , نشر: مكتبة الأنجلو المصرية - 2003 .
30. الكتاب (كتاب سيبويه) : أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر - تحقيق: عبد السلام محمد هارون - مكتبة الخانجي , القاهرة - ط2 - 1982 .
31. كتاب الأمالي: أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي - تحقيق: علي محمد زينو - مؤسسة الرسالة ناشرون , بيروت - ط1 - 2008 .
32. كتاب العين: لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ) - تحقيق: مهدي المخزومي , إبراهيم السامرائي - منشورات وزارة الثقافة والإعلام - دار الرشيد للنشر , بغداد - دون ذكر الطبعة - 1981م .
33. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: أبو محمد مكيّ بن أبي طالب القيسي (ت437هـ) - تحقيق: محي الدين رمضان - مؤسسة الرسالة , بيروت - ط3 - 1984 .
34. لسان العرب: للإمام العلامة ابن منظور (ت 711هـ) - اعتنى بتصحيحها: أمين محمد عبد الوهاب , محمد الصادق العبيدي - دار إحياء التراث العربي , ومؤسسة التاريخ العربي , بيروت - ط3 - 1999 .
35. لغة تميم (دراسة تاريخية وصفية) : ضاحي عبد الباقي - مجمع اللغة العربية , القاهرة - الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية - 1985 .
36. اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية: تشيم رابين - ترجمه وعلّق عليه: عبد الكريم مجاهد - المؤسسة العربية للدراسات والنشر , بيروت - ط1 - 2002 .
37. اللهجات العربية في التراث: د. أحمد علم الدين الجندي - الدار العربية للكتاب - 1983 .
38. اللهجات العربية في القراءات: عبده الراجحي - دار المعرفة الجامعية , مصر - 1996 .
39. مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع: ابن خالويه - مكتبة المتنبي , القاهرة - دون ذكر الطبعة وسنة الطبع .
40. المزهر في علوم العربية وأنواعها: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت 911هـ) - شرح وضبط وتصحيح: محمد أحمد جاد المولى , وعلى محمد البجاوي , محمد أبو الفضل إبراهيم - دار إحياء الكتب العربية - دون ذكر الطبعة وسنة الطبع .
41. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي (ت770هـ) - صححه: مصطفى السقا - دون ذكر الناشر والطبعة وسنة الطبع .
42. معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب): ياقوت الحموي الرومي - تحقيق: إحسان عباس - دار الغرب الإسلامي , بيروت - ط1 - 1993 .
43. معجم القواعد العربية: عبد الغني الدقر - دار القلم , دمشق - ط3 - 2001 .
44. المفضليات - تحقيق: أحمد محمد شاكر , وعبد السلام محمد هارون - دار المعارف , القاهرة - ط6 - دون ذكر سنة الطبع .

45. المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية: محمد سالم محيسن - المكتبة الأزهرية للتراث , القاهرة - ط1 - 1978 .
46. المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار: أبو عمر سعيد بن عثمان الداني (ت444هـ) - دراسة وتحقيق: نورة بنت حسن بن فهد الحميد - دار التدمرية , الرياض - ط1 - 2010 .
47. الممتع الكبير في التصريف: ابن عصفور الأشبيلي - تحقيق: فخر الدين قباوة - مكتبة لبنان ناشرون , بيروت - ط1 - 1996 .
48. منجد المقرئين , ومرشد الطالبين: الإمام محمد بن محمد الجزري (ت833هـ) - اعتنى به: علي بن محمد العمران .
49. منظومة حرز الأمانى ووجه التهاني في القراءات السبع: أبو محمد القاسم بن فيّز بن خلف بن أحمد الشاطبي الرعيبي الأندلسي (ت590هـ) - تحقيق: د. أيمن رشدي سويد - دار نور المكتبات , جدة - ط1 - 2008 .
50. المهذب في القراءات العشر وتوجيهها: محمد محمد محمد سالم محيسن - المكتبة الأزهرية للتراث , القاهرة - 1997 .
51. النشر في القراءات العشر: أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري (ت833هـ) - أشرف على تصحيحه: علي محمد الضباع - دار الفكر - دون ذكر الطبعة وسنة الطبع .